باب الاجوبة والآراء

تعارض العقل والنقل

(في الاسلام) *

نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب المكرم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الامجد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضاته . اما بعد فانه وصل الينا عزيز كتابكم ، تلوناه مسرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ، اصلح الله احوالنا واحوالكم ، واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق

وبعده اني تقلبت في اما كن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل توسعه في ذم السياسة وذم التقليد وحبته لطريق السلف وحثه على النظر فيه في اصول الاعتقاد وحثه على مآخذ الائمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل الاثبات وتمييزه طريقهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الحبر الذي ينبغي ان تشد

---

*) سؤال من الشيخ عبد العزيز السعاتي العالم السلفي عن عبارة للاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق العامل الشهير وجواب هذا عنه واذعان السائل لجوابه

اليه الرحال ، وددت اني سألته في حياته ايضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها في كتاب الاسلام والنصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال في كتابه « اتفق اهل الملل الاسلامية الاقليلا ممن لا يعتد به على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل . وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أدركه العقل . (وقال) وبهذا الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بددت بين يدي العقل كل سبيل » اه كلامه قسمها ثلاثة اقسام ، الاول التقديم عند التعارض مطلقا ، والثاني التفويض ، والثالث التأويل ، فالاول نولا ذمه لتقليد الفقهاء فضلا عن الآراء الفلسفية لقلنا هذا تقليد فلم بناه على اصلهم ، والثاني التفويض وفيه ما فيه ، والثالث ولا تميزه واعلاؤه طريقة السلف لقلنا عني بالتأويل اصطلاح المتفلسفة الذي حقيقته التبديل ، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم فهم من ذلك انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم يضبط به على خلاف ما يتوهم ، ولأنه بعيد من المجاوزة والتقليد بغير الوقوف على الحقائق ، واني لعلى نظر بل على قدم ان العقل عقلان عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل نقلان (؟) قال صريح صحيح ونقل غير صحيح فالنقل الصحيح ، موافق للنقل الصريح ، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح ، ولا قصور من النقل الصريح ، ومع هذا لم يرتفع عني وجه الاشكال بالكلية ، بل على هنيء ، لما في ذلك من الاجمال واحتمال التفاصيل ما يحتاج الى فهم سيال وفكر وقاد فاستشكلت ذلك جدا ، وطلب التسليم لقاعدة صاحب الاسلام والنصرانية اعوزني الى ان انظر في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصريح وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب واستبرمت به نحو فصلين فقصر علي التسليم للتقديم مطلقا فأوقفني ذلك الكتاب على قليل ابحاث موارد طرق شتى متباعدة الاعماق ، متخالفة المساق ، متباينة المذاق ، فمنها ما هو ملح اجاج آسن كدر ، ومنها ما هو عذب صاف فرات سائغ للشراب ،

وما بينهما في الاقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم يهرعون سراعا ، أقطاعا وأرسالا وأشتاتا، لا يصدهم وذح قذى مافي مواردهم ، فسبحان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا قبل تلك الموارد ، دقت البدن من زواجع التفكر ، شعث القلب لهفا ، متغطر الكبد غلأ ، مرتجف الاعظم وجلا ، مفتقرا الى شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونفش غلل ، وسكون اهتلم ، وثمر بغض طيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استضيء بنور علمكم ، واستصبح بمشكاة فهمكم ، وأستعين بياسق فضلكم ، الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ، وارسلت به الرسل ، وما يتوقف وجود الايمان على وجوده ، وما يعدم من عدمه ، ولكم في ذلك إن شاء الله الأجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهمنا وإياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابغة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي وعجبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاطهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدومكم محمد وابن عمه احمد والمشايخ أهل النهى السادة الفضلاء كافة بيت الآلوسي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافتهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واساتذة تصحبهم ، فعند ذكركم يودعونا السلام عليكم ومن يحبكم وانتم في أمان الله وحسن رعايته والسلام　　غرة ربيع ثاني سنة ١٣٢٤　　المحب الداعي

عبد العزيز ابن محمد السنائي

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) اقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضاح مآثره وتقديسه لاصوله في سائر أقواله في كتبه ومجالسه ومحافله بخالف ما تخيله من التناقض فيها الفهم الا وهما وليس العصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(١) يعني الاستاذ الامام صاحب قاعدة الجمع بين العقل والنقل

جواب الشيخ جمال الدين القاسمي

باسمه تعالى وبحمده

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز السناني ، أبقاه الله مفيدا للطالبين ، وداعيا لاحبل المتين ، وقائما بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،

سلام الله عليكم ورحمته وبركته ورضوانه

أنهي اليكم انه وصلني عزيز خطابكم ، وكريم كتابكم ، فحمدت المولى على صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النفع بمباحثكم ، تضمن كتابكم الجميل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جديرة بالتحقيق ، واعارتها النظر الدقيق ، مسألة اضطربت فيها الانظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ، ومحك افهام الفئة السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه عقبات الارتياب ، فقد فاز فوزا عظيما ، وكان في الامة اماما حكيما ،

قبل ان تكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امرا أراه من أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح العصبية المذهبية ، والحمية القومية ، والالتفات في كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإنا عن الحق نبحث ، واليه نسعى ، والحق ما قوي فيه الدليل ، واتضح معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة قويمة فهو الحق الواجب اتباعه ، المتحتم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل انا أبناء الدليل ، وأتباع البرهان ، اقول هذا أولا

ثانيا من الآداب التي يقترض — فيما أراه — سلوكها والأخذ بها ، والدعوة اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول — رفع التنافر من الفرق ، ومحو التضليل والتفسيق من النفوس ، واقامة الاعذار ، لسائر أهل الأنظار ، ما داموا داعين الى الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلاتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

يتحقق ان الكل طالبون للحق ، جادّون للحصول عليه ، ساعون وراءه ، فيعذرهم بذلك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فيما يعتقد خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق ومأجور بنص الشارع ، وعلى خصمه ان يحمد مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث وفحص ووجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة للتفرق ، ساقطة للتحزب والتعادي ، باعثة على التنابز بالألقاب ، مثيرة أحيانا للطعن بلسان إثر الرامي بشظايا اللسان ، هذا ودينا واحد ، وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة ، وأصول إيماننا واحدة ، من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ، وأتينا من نبذ الوحدة ، والزهد في التآلف ، والرغبة عن التضام ، من دخلاء أفسدوا جامعتنا ، أو من خلاتنا ، أو من مقصرين عن فهم روابط الدين ، فأنا لله

نحن في عصر أحوج الى الرجوع الى المتفق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ، فمن انقاد ، واعتنق سبيل السداد ، والا فلا تضييق ولا تضليل ، ما دام على قانون التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما صعبت بهذا التمهيد لأنا لسنا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن يعادي المخالف عداوة قلبية ، بل ممن يبين الحق الذي يراه ، ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من يأباه ، فان اهتدى فلنفسه ، وان أصر معتقدا حجية ما لديه وصحة ما يعتقده فيكشف له غلطه ، فان رجع (فذاك) والا بأن عاد الى مشربه ، وقد استحكم في قلبه قواعد مذهبه ، فما عليك الا إبانة الرشاد ، والله الهادي ،

مبحثنا في دعوى تعارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على الألسنة ، ومشت مع الزمان ، وصقلها مرور الأيام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وتآليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلا أصيلا ، وغدت ركنا ركينا ، يتحاكم أهل النظر اليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،

لعمر الحق ان بثها في أسفار العلم ، وتلقينها لرواد الفهم ، لما يتدهش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا يعده ذو الفطنة الوقادة ، والفطرة الصحيحة ، الا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المبتدعين ،

من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جنته على قواعد اليقين ، ؟ يكاد ينخلع القلب مما ترمي اليه من امكان تعارض العقل والنقل ، وتباين الامرين ، ومعاذ الله أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو امكان تعارض بين العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل ، وماها لعرف الحق الا كالروية المشروطة بسلامة البصر وانبساط الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون عقل ، العقل والنقل متآخيان في هذه الملة الحنيفية ، ومتمازجان في أصولها وفروعها ، كلياتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، ومتلازمان تلازما لا يقبل الانفكاك بوجه ما كتلازم نظام الكواكب لسيرها المقدر

شهرة هذه القاعدة

حدتني نحرير امام أن حشويا من بيروت تهم على الاستاذ عليه الرحمة هذه القاعدة بدعوى تفرده بها ، وعدم سماعه لها ، فأسفت لأن يصل الحال بالحشوية الى افكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل للمتكلمين أجمعين ، وما بنا من حاجة الى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأييدها ، فانها بديهية ، الا ان البديهي قد ينبه عليه ، لغشاوة تحول دون النظر اليه ، قال السيد الزبيدي في كتابه إيثار الحق على الخلق « تقديم العقل على السمع اولى عند التعارض لان السمع عُلم بالعقل فهو أصله ولو بطل العقل بطل السمع والعقل مما وهذه من قواعد المتكلمين »

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المتشابه « ما صح من الخبر المروي في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين ، ويوفق بين المعنيين »

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل السمع به »

ويكفي ان شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى موافقة صريح المعقول « الصحيح المنقول » لمناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم العقل » هذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الائمة في هذه القاعدة شهير الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم

اذكرني كلام هذا الحشوي - والشيء بالشيء يذكر - ماوقع من حشوي آخر عجمي قيل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم انقراض الاجتهاد من عصر الاربعمائة وصحح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة « وآلى بأنه قرأه ودرسه » وسبره وفحصه » ولم ير لتلك المقالة من أثر » فقيل له لو قرأته لدريته » ثم ترامى على محاوره وتوسل اليه ان لا يضن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ماقاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو « فسقط بين يديه » وكاد يقضي عليه « والقصد ان تلك العبارة شهيرة وان كانت في كل كتاب تكسى من الالفاظ اسلوبا خاصا قد يخفى انها هي هو

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا مايل بالنفس من التألم لدعوى تعارض العقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعارتها ادنى نظر فانه متى اجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع العقل بادئ بدء ولكن يضطرنا الكلام عليها ماتوكأ عليه كثير من الخائضين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام « أرى بعد ثبوتها في كتب الأئمة وادراجها في مباحثهم ان لها وجوها بعضها صحيح و بعضها فاسد واليك البيان »

لما حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مرويا تها وذاع ذلك وانتشر بين حملة الآثار و بين ارباب النظر انقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفئة المشبهة فانها غلت في الاثبات غلوا خرجت به عن المعقول رأسا ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المعهود في المخلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الاجسام ، فانتهى بهم الامر الى التجسيم البحت ، والتحديد الصرف ، واخذت آراؤهم الحمقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء ، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحلولية ، كما تراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثناها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقيلا ممن لاينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا لغيرهم ولقوة جمودهم لم يقم لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فقامت في مقابلة اولئك وغلب عليها النظر والتأويل واوهمت ان الاولى تنقل مالايليق بالتوحيد ، وتروي مالايصح في الدين ، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتمثيل ، وبروق اهل الالحاد والتعطيل ، وقضت على تلك المرويات بأنها مجازات وردت على مناحي معروفة للعرب معهودة في لغتهم وأساليبهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به ، يعنون بحقيقتها ما هو معروف لهم من صفات الخلق واحوالهم ، قالوا فلما جاء النقل بما يوهم محالا عند العقل كان للعقل التقديم على النقل وملاحظته أولا و بالذات ، فما أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالوا هو من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لاندري ماأريد بها ، و بالجملة فجعلوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكما والمروي المنقول فرعا له فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهؤلاء الفرقة أيضا من الغلاة في التنزيه المتعصبة فيه ، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقتصدة فان دعواها في سائر المرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل يصرفه كيف شاء كدعوى ان النقل يقبل كيفما كان احاله العقل أم لا ، صح سنده ام لا ، في ان كلتيهما طرفان جائران ، والقصد والتوسط خيرهما ، ولذا قال السيد الزبيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا فغلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية . ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض » (ثم قال) فالفريقان المشبهة والمعطلة انما أتوا من تعاطي

على مالا يعلمون ، ولو انهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلف أعلم ، فطلبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم مالا يعلم فعارضت انظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الادلة السمعية فالمشبهة ينسبون خصومهم الى رد آيات الصفات ويدعون فيها مالبس من التشبيه والمعطلة ينسبون خصومهم الى التشبيه ويدعون في تفسيره مالا تقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار ، والاقتداء بالسلف الاخيار ، والاقتصار على جليات الابصار ، وصحاح الآثار ، انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المقتصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق الفريق المعتدل

والمقصود ان الفرقة الثانية القائلة بالتنزيه البحت المحكمة للعقل في النصوص تحكيما مطلقا القائلة بتقديمه على النقل بطريقها الذي بناه قاعدتها المذكورة فاسدة باطلاقها اذ لو قيل لها ماهو العقل ، وما ميزانه ، وهل يمكن عدم التناقض في مناحيه ، وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لاينازعهم وجدانهم في قضية منه ، لكان الجواب الحيرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لايمكن تحديده في هذا المقام بالكنه ولا بالعرض ، وليس له ميزان ومعيار خاص لتباين الآراء في التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم مابنى منها في الامس ، والمشاهدة قاضية بمنازعة الوجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بالايجد الواقف عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقديم العقل مطلقا او معارضة المعقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة ، وما سبيله كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها ، ومن ادعاها اظهر تناقضه واضطر الى مايبدل رأيه ، ويلطف مشربه ، ويصحح مذهبه

واما الوجه الآخر الذي تصحح به هذه القاعدة وتسلم عند كل منصف ويكون عليها مسحة من الحق ولمعة من الصواب فذلك في مثل ماقصده الاستاذ عليه الرحمة في حج خصمه النصراني وإفحامه . فقد زعم خصمه ان من قضايا الدين مايعلو على متناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم به تدينا

وانه لا اثر للعقل في باب الدين اصلا لا طراحه معه جانبا ولزوم الخضوع الاعمى، شاء العقل أم أبى، فناقشه الاستاذ بان هذا يستحيل ان تقبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة، وانه من اوضاع الذين انحرفوا بعد ماتبين لهم الهدى، وانه لو صح ذلك - على زعم الخصم - لكان الاحرى به ان ينبذه ويتنهج ماهو خير له، وذلك في دين اساسه العقل، وقوامه العقل، ودعائمه العقل، ومبانيه العقل، تقصده عليه الرحمة هدم مابنوه من ذلك الاصل الفاسد الذي يتبرأ منه العقل السليم وابانة ان الدين الحنيفي نزل موآخيا للعقل بل العقل مرده واليه تحاكمه ولذلك اكثر التنزيل من التنبيه على العقل والتنويه به في مثل قوله «أفلا يعقلون» «لعلهم يعقلون» «وما يعقلها الا العالمون» في ايات لاتحصى، و بالتحاكم الى العقل يعلم الخصم ان ليس عرد دينا هو الخضوع الاعمى لكهنة الباطل الذين اتخذوا لانفسهم الربوبية في التشريع وردوا عقائد شعبهم الى اهوائهم وكلفوهم مالا يطيقون من اعتقاد ما يحيله العقل كالتالوث والاستحالة . . .

بل الدين الحنيفي دين العقل، دين النظر، دين التدبر، فمن استعمل عقله ونظره وفكره من الملاحدة وتأمل في محاسنه وقابل بينه و بين غيره من الأديان لم يلبث ان يعتنقه اعتناقا يمتزج به في لحمه ودمه حتى يستميت في الذود عن حماه،

ثم ترقى الاستاذ عليه الرحمة الى تكاية الخصم بأن العقل يقدم على النقل اذا عارض قضاءه ليعلم الخصم أن الاساس الاكبر والمرجع الاعلا هو العقل، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لابتنائه عليه، حتى لو وجد ما يعارضه بادئ بدء لرجح العقل فيه فيجريه على أصله وقاعدته ويقضي للواجب أن لا تعارض

رأي الاستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة، وهو كذلك لانه لولا ذلك لكان الامر إما على حقيقته المعهودة كما فهمه الجهل وهو محال، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير معهود في مبدإ الدين المتين،

وانما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لان للعقل ان يقول للباحث «بعد ما وضح وثبت صدق المخبر بذلك من المعصوم الذي استنارت حجته فما عليك الا الايمان بما جاء به تفصيلا فيما فصل واجمالا فيما أجمل ومنه أوصاف الربوبية

وما يضاف الى سدها فيكفيك الاذعان للمنقول منها ولم تكلف الخوض في اكتناهها فهو ما لا تبلغه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما عثر بك الحال ، الى الزلل في المقال ، فتكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك » ، وهذا القضاء قضاء مرضي لا يأباه القلب ، ولا يجافيه ذو اللب »

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالعت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله فرأيته توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من الشواهد العربية نظاما ومن مُثُلِهم ثرا ما يقنع الباحث بل يدهشه حتى يخيل للناظر أن ليس وراء ذلك مرمى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشربه ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وان تعسف في كثير من التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذلك بحث آخر »

والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب مفسح لها وترحيب بها ، ومن ينكر وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، وبديع كناياته ، ولطيف مواقعه ، واسرار اعجازه وبلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة قويم ، على ان من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز مهما حاول محاول كحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وحديث (الحجر الاسود يمين الله في الارض)

نعم ثمة في باب الصفات ما هو أرقى من المذهبين المذكورين ـ مذهب التأويل والتفويض ـ وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا يليق بالذات العلية »

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الاحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضي الى تعطيل ، وتكييف يفضي الى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف انها تجري على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها » وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويقبع فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يدا وسمعا ولا نقول ان معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم »

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : « بعض الناس يقول « مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إما لفظا ومعنى أو لفظا لا معنى لان الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين أحدهما أن يقال ان اليد جارحة مثل جوارح العباد وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل أكثر اهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث حكى عن السلف مالم يقولوه ، فان ظاهر الكلام هو مايسبق الى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن لل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضا تدل على حدوثنا يمتنع ان يوصف الله بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا ونحوها جسام محدثة لايجوز ان يوصف الله بمثلها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا قلنا ان لله علما وقدرة وسمعا وبصرا ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ، فكذلك لايجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ماهو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته غير مراد فقد اخطأ لانه مامن اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضي الى ان يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولايخفى مافي هذا الكلام من الفساد

والمعنى الثاني ان هذه الصفات انما هي صفات الله سبحانه على مايليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) افيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؟ لا يمكن ، فمن قال ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له اصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تمر كما جاءت على ظاهرها مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل مايلزم منه حدوثه او نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقط اخطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام الى هذا الامامُ ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه . ... ثم نهاية شغبهم ان اثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ، ألا ترى أن في الشاهد ان الفاعل الاشياء المتقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير عليم خبير فاعل وليس بجسم ، فاثبات الصفات لمعلى ماجاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالمحدث مكيف ، وصفات الباري لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه منتفيان عنه وعن صفاته وبالله التوفيق »

وكذلك جود في ايضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين في مباحث التوبة فنقله عنه ونجعله سلك الختام

قال رحمه الله بعد ان ناقش من اوقع الامة في اودية التأويلات وشعاب الاحتمالات والتجوزات

(فان قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذممته فسلكه فيه أومن

طريق ليستقيم عليه السالك ؟ (قلت) نعم بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الاعلام مضيئة للسالكين وأولها ان نحذف خصائص المخلوقين ، عن إضافتها الى صفات رب العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاء الناس فمن حلها فما بعدها أيسر منها ، ومن هلك بها فما بعدها أشد منها ، وهل نفى أحد ما نفى من صفات الرب ونعوت جلاله الا لسبق نظره الضعيف اليها واحتجابه بها عن اصل الصفة وتجردها عن خصائص المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث لم يتجرد في ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبة والرضاء والغضب والكراهة والمقت والبغض وردها كلها الى الارادة فانه فهم فرحا مستلزما لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ماينفعه وكذلك فهم غضبا هو غليان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبة ورضا وكراهة وبغضة مقرونة بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم تصل معرفته الى سواه ولم يحط علمه بغيره ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيها »

ثم لاصحاب هذا الطريق مسلكان أحدهما مسلك التناقض البين وهو اثبات كثير من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها مجردة عن خصائص المخلوق كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي نفاها يستلزم المحذور الذي فر منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبته ؟ وان كان اثبات ما اثبته لا يستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات ما نفاه ؟ وهل في التناقض اعجب من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هربا من التناقض والتزاما لاعظم الباطل واهول المحال ، فاذا الحق المحض في الاثبات المحض الذي اثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تبديل ، اه

وبالجملة فهذا المذهب الاخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المعقول أعني مما بان العقل فيها معاني سليمة مما يوهم محالا عنده ، وبه يعلم ان ليس في الدين مايناقر

العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

* * *

هذا ما رآه الفكر القاصر في القصد من تنويه الاستاذ المرحوم بالعقل أعني حجج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتنبيه خصمه على ان بالعقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يبشر بسبب تصعيد العلم والبداءة (؟) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها و باقيا بقاء النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظار والمتكلمين ويدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذكر نا ليلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلا لمذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افضى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له « اني لاعجب من هؤلاء المتأولين المندفعين على رفع الظواهر المكبرين لاطلاقها أفهم أغير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النعوت الجليلة التي تأبى كثرتها التأويل الذي لا يؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصوب والاقرب؟ » فرأيته رحمه الله أقر على ماقلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه ليلتذ في غير هذا المبحث حاور وناقش وحقق ودقق ، هذا ما احققه منه ، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الاستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلائل النعوت وتصديق رسوله برسالته بما نصبه دليلا على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فآمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع انما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقا

فلحفظ تقديم العقل على النقل انما هو رعاية العقل في النقل بالوجوه التي قدمناها و به يظهر ان كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الاسلام وسره وتفوقه على ما عداه من الأديان التي حرفها أربابها ، وعلى تسليم انه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاضة عليه في ذلك فقد خرجناها على وجه لا يحيد عن الصواب ، وجلي أنه ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، والحكمة مقبلة من أي لسان لانها مساوقة الحق كما اشرنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وامامه في كتابه جامع بيان العلم وفضله في باب جامع في المحال التي تنال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه انه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه »

اشرنا الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لانه في عليه إشعارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لغتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة وبزغوا في البلاغة ولم يتطالّ عليهم فيهما ، ومعلوم أن أشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فاذا لم يعلم أحد معناها فأنّى يستدل بها ، وفيه سدّ لباب الهدى والبيان منها ، وحينئذ فقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) من الغلط في الاستدلال فان المراد بتأويله ما يؤول اليه الامر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما « الاستواء معلوم والكيف مجهول » وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه

فلفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف « يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل » فجعل في الآية الاولى ما يؤول اليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير وبيان المراد به فهذا لا يصح ارادته من الآية لان الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وان لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب فان ما أعده الله لاوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذلك الذي أخبر به لا يعلمه الا الله

ثم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراسخون في العلم) أراد منها هذا المعنى وانه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الاول منقول عن ابي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ، فلا منافاة بين القولين « لاشتراك الجهتين »

والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، ولشيخ الاسلام بسط هذا المبحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة »

واما ما ذكروه من أن التأويل حقيقته التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسلم لما فيه من خطر رفع الظواهر المتبعي الى تغييرها وتغيير البراهين أو اكثرها مع أن القصد ايجابها والاعلام بها هو إفادة الامة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يعدل عن البيان الناصع الرافع للبس المزيل للاجمال الى اسلوب يوقع الامة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجويزات ،

ما بحثوه في التفويض والتأويل هو من قد المدققين في باب الصفات الذين تجلى لهم ذلك المشرب المعتدل في أزهى حلله ، ومع ذلك فقدهم لا يحيط من تدبر من ذهب الى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالتفسيق والتضليل ، فان ذلك قصارى جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدمنا ان للعقل قبولا ما ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، نعم بلام من جد على التقليد المحض بعد أن وضحت المحجة ، واستبانت الحجة ،

وقد قدمنا أن الحجة قويت في الاثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد نقل الشعراني في البواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش متعاطيه في مواضع من فتوحاته فمنها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف » قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأصبعا وأصبعين وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا وإتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وأمثال ذلك » قال « وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه خبر حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضا « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تتعلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الالهي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرع لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرع يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ، ولا نحكم في شرعها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم » فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة » قال « وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالف وامثال في ذلك

وقال أيضا رحمه الله « اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديعة للعقل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ، ثم أنه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك »

« فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من الخلل والقصور ما فيها ثم أنه اذا حصل شيئا من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه ، (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم انه يفهم من كلام الاستاذ رحمه الله انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة الخ وكذلك ظاهر كلامه بادئ بدء الا انا بعونة ما قدمناه من ان قصده من مبحثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوها أينما اتجهت ، ويساوقها كيفما سارت ، إلا أن ثمة أثرا من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تآليفه أسلوب غريب يباين المعهود فقد لا يراد من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ،

هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضال ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات فلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالتفوه منها ، اللهم الا ان بركة دعائكم ، واغتنام بديع فوائدكم ، مما يرجى معه شرح الصدر ، وتسهيل الأمر ، وارجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه صوبت ، فان القصد الوقوف على الحق ، واعتاق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، وانني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم المصون ، نفعنا المولى ونور اذهاننا بمعارفكم ، انه خير مجيب ،

ما حملني على اطالة الجواب وتكبير البحث نوعا ما الا ابلاغه لمسامع اخواني وصحبي ممن لم يتأهلوا بعد لمطالعة الكتب الكبيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم نموذجا يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكبيرة، فلا ملام فيما تخلله من القول المعروفة لديكم "

زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانبا كثيرا مما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد واكد عليّ ان تدققوا فيما كتبنا وان لا تقضوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لتعم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التسليمات لحضرات السادة الآلوسيين الكرام شموس الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبد الرزاق افندي الاعظمي ومن يصحبهم من الاساتذة ومن كل التلامذة " بارك الله في حياتهم ، ونفع الامة بعلومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار والشيخ محمد ديب الغنيمي واشتاق بهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة " في الاوقات الكاملة الراجحة

قاله بفمه وامر برقمه وكتب هنا بقلمه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يمض على ارسال الجواب لذلك السؤال ردح من الزمن حتى أرسل الينا صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستعيض عن تلك المدائح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابى الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنفوذ الخارق في أمثال هاته المباحث المطمورة ولو كره المعاندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظا لتلك الآثار خشية ان تتناولها ايدي الضياع مع تصرف يسير وحذف لجمل خصوصية لا تفيد فائدة عامة وهاك صورته:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوحد زمانه ، مفزع السائلين ، مرشد الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لمنهج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومغفرته ورضاته . وبعد وصل الينا كتابكم الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المقيد لشوارد المسائل المهمة ، والانموذج لما حوته جل كتب الجهابذة المحققين اهل النظر الكبار ، فيالله من جواب ما اجله واشرفه ! كيف لا وقد حل حزازة الصدور ، في الذود عما عقده الاستاذ الحكيم من أصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة واقادنا فوائد وعاد الينا بعوائد كنا عنها في سدف ، فاستضاءت لنا وجوهها ، فأتى بما فوق ما املناه ، فلا خاب املنا ، ولا انفلس مفزعنا ، تالله لقد حططنا عنا مؤنة النظر والتكلفات وحذرنا صعب العقبات المتعريات (كذا) بالمشكلات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم السبل ، وجعل بالسعادتين ، فيالفوز من أهل بلغي تلك الثمرات ، فلزم ان نحفظه ونستحفظ عليه ، ونجعله عدة لمراقي سني السير ، ومردا لطامح الفكر ، وجامح الخطر ، وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب مناصورة السؤال الباعث للجواب رغبة لنسخها ولا غرو اذ كان صدره من ذوي السهم الراجح والمثل الرابح ، والدوحة العليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار الحلم ، فقابله الجدير ثناؤه حيث كلف لدينه حفظة من خلقه ، يحملون قواعد شرائعه ، ويذبون عن حماه ، بحي من بغاه ، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلاله ، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ، وللاسلام والهدى منارا ، ولاهل الحق قادة ، وللعباد أئمة وسادة يتحرون جزيل الثواب من الله ، ويتوخون رضى الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء المصلحين ، الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون به) : فلم يكن يثنيهم عن النصيحة لله ما منهم - يريد الجهلة - يلقون ، بل كانوا بفضلهم على

جهلهم يعودون و بفضلهم على بفضهم يأخذون ، و يجهلون لمن بعدهم آثارا على الايام باقية ، وسبلا الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبيهم افضل جزاء ، وحباهم من الثواب أجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وجعلهم مفزعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدف ظلم الجهل ، والتباس الضلال ، فمن نعمه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمننا من اتصف بتلك الصفات ، فنسأل الله أن لا يحرمنا فضلهم ، والاقتباس من نور علمهم ، (الى أن كتب مايلي) :

هذه مسألة احتاطية ، وحدثني نفسي بمراجعة صاحب المنار الغني ايضاحها ، فقصرتم نجدتنا ، وارحتم صاحبنا ، وأزلتم سدفنا ، جزاكم الله عنا وعنه أفضل جزاء ، وأجزل ثواب .

وجميع الاخوان الهيين أخذوا بنسخ السؤال والجواب المذكور وذلك لاصحابهم به جزاكم الله من الجميع خيرا .

المحب

في : ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ عبد العزيز المحمد السعاني

التقاريظ

﴿ ديوان الخطيب ﴾

للشعراء تأثير في ايقاظ الامم معروف لا ينكره الا من انكر التاريخ وانت تعلم منزلة حسان بن ثابت وتأثير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لا تجهل مقام مثل الشاعر فيكور هو غور في أمته ، ولقد ظلم في هذه الاثناء هلال في ظلك شعراء العربية جاعلين من الشعر لهجة غير محذاة ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب احد موظفي المعارف في حكومة السودان المصري ، جاء ببدايات من نظمه برز فيها على كثير من نهايات غيره ، افتتح بالشعر العربي منهجا جديدا وصدر ديوانه هذا بمقدمة في تاريخ الفنالعربية والشعر لم يشبع على منوالها الشعراء والكتاب واليك مثالا من قوله في العتاب

أيخواننا الاتراك عدوا انتما بنا ... من الود انا قد مددنا لكم يدا

اخذنا باهداب العتاب وانما ... اتيناه من كل ضنين مجردا

فقلتم وقلنا غير ان قلوبنا على العهد ترعى حرمة العهد سرمدا
وما تقاضى ثورة دموية فلسنا عطاشا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطدا يعز علينا ان يكون مهددا

ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تنحل فيمتصها النبات طعاما
فاذكريني اذا تكللت بالزهـ ـر ففيه هباء جسمي اقاما
وانشقيه فان فيه اريجا عاطرا كان في فؤادي غراما

والديوان قد طبع طبعا حسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبتها بثلاثة قروش صحيحة ولتلامذة المدارس العالية بقرشين

* * *

﴿ كتاب الكلية العلمانية الفرنسوية ﴾

اهدت الى ادارة المنار الكلية العلمانية الفرنسوية في بيروت كتابها السنوي وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها

وهي أربع دوائر دائرة التعليم العام ودائرة الاعداد للمدرسة الطبية والدائرة الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث الخصب وسعة الارض ، ولا صيغة دينية لهذه الكلية ولعلها أول بعثة علمية غربية جاءت الى الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تتعرض لدين التلامذة كما انها لا تعارض أحدا بدينه وربما سهلت له الطريق كما تقول

وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة العلمانية انما هي خدمة فرنسا خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الاجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ

فهل يعتبر أهل البلاد ومن بيدهم زمام الامور ويعلمون بأنهم أولى من أولئك الافرنسيين بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقهم القوم العاملون وان اهمال المعارف واللغة والآداب مضيعة للجامعة القومية وتفريق للعناصر الوطنية ولو انشئ في كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي

صالح مخلص رضا